

نبأ عن سبأ

الشيخ/ محمد صالح المنجد

عناصر الخطبة:

- 1- سليمان وريث النبوة والرسالة.
- 2- النملة مع سليمان والاعتراف بفضل المنعم.
- 3- النبأ العجيب من هدد سليمان.
- 4- تعامل سليمان مع رسالة الهدد.
- 5- لا حجة لجواز تولى المرأة الولايات العامة بقصة ملكة سبأ.
- 6- هدية ملكة سبأ ورد سليمان.
- 7- أحداث قدوم ملكة سبأ وإعلانها الإسلام.

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

سليمان وريث النبوة والرسالة.

فإن أصدق الحديث كتاب الله، قص الله علينا في كتابه من القصص، وذكر لنا من السير ما فيه موعظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وعلى رأس تلك القصص؛ قصص أنبياء الله تعالى ورسوله الذين أرسلهم للناس، ومن هؤلاء النفر الكريم سليمان عليه السلام - وريث النبوة والرسالة - كما قال الله سبحانه: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ}** (النمل: 15)، فصاحب العلم صاحب فضل، صاحب العلم صاحب شرف، فعلينا أن نطلب العلم؛ لندخل في أهل الفضل والشرف، فاحفظ يا عبد الله، واقرأ، وافهم، واسمع، تعلم معاني القرآن والسنة، هذا هو العلم.

{وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ} (سورة النمل: 16) إنه إرث عظيم، إنه إرث النبوة لا إرث المال، **{وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ}**، إن تعلم اللغات عجب، فما بالك بتعلم لغة الطير ومنطق الطير؟! هذا لا يكون إلا من الله خص به داود وسليمان، **{وَأوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ}** كان تمكيناً عجباً، **{إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ}** إن الاعتراف من صاحب الإمكانيات والقوة بالفضل لله دليل على تواضعه لربه، وعدم اغتراره بما عنده، فإن كثيراً من الناس ينسى فضل الله إذا صار عنده نعم.

النملة مع سليمان والاعتراف بفضل المعتم

{وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} (سورة النمل: 17)، لقد كان لهم وزعة ينظمون أمرهم، كان لهم وزعة يحملونهم على الطاعة وعلى النظام.

{حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ} (النمل: 18) ويا لله كم في كلامها من العجاب!، فماذا قالت: {يَا أَيُّهَا النَّمْلُ} فنادت بني جنسها، ثم قالت: {ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ} تحذروهم، ولزوم المساكن في هذه الحال هو الاحتياط المهم؛ لتلافي الهلاك، وقد جعل الله البيوت مأوى، وجعلها أكناناً تقي في الحر والبرد، وهذه مساكن النمل تحت الأرض، لماذا لزوم المساكن؟ {لَا يَخْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانَ وَجُنُودُهُ} تحذير من الخطر.

لكنها التمتت العذر لسليمان عليه السلام؛ لأنها تعلم أنه لا يؤدي تعمداً للأذى فقالت: {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} * فَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا} (النمل: 18-19)، فسبحان من أفهمه ذلك القول، وسبحان الذي علمه ماذا قالت تلك النملة!، {وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِي}، شكر النعمة بالقلب واللسان والجوارح، ومن جملة الشكر الاعتراف للمعتم بالفضل وعدم نسبتته إلى غيره، واستعمال النعمة في طاعة الله، فهذا من شكر النعمة، وكلما أتى الله عبداً نعمة إضافية فإنه لا يزال يدعوه ويثني عليه كما دعا سليمان بقوله مخاطباً ربه: {أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ} دعاء نبوي، ومعناه: ألهمني شكر نعمتك، واجعلني ممن يقوم بحققها، {وَعَلَى وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ}، وإذا رضي الله عن عمل العبد أدخله الجنة، {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} فما ادعى أن عنده من الأعمال والمميزات والخصال ما ليس عند أحد، بل إنه يرجو أن يدخل في جملتهم {فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}، وتأمل أيضاً فهو لم يقل: بذكائي وعبقريتي وإمكاناتي، وإنما قال: {بِرَحْمَتِكَ} فهو لا يزال محتاجاً إلى رحمة الله، فإذا لم ينس الذكي ولا الغني ولا صاحب الأتباع، ومن تحته الموظفين والعمال، إذا لم ينس صاحب الحسب والنسب، إذا لم ينس صاحب التفوق والمهارات، إذا لم ينس ربه فإنه سيلزم شكره ويدعوه كما دعاه سليمان {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}، ويتواضع له، ويرجو أن يكون من جملة الأخيار؛ لأن الصلاح هو معيار الفوز، وهو ميزان النجاة.

النبا العجيب من هدد سليمان

{وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ} (النمل: 20) عندما يولي الله عبداً على مخلوقات له، فإن هذه التولية تقتضي القيام بالتفقد، إنها من الأمانة وتحمل المسؤولية، وإذا كان سليمان عليه السلام قد تفقد من ليس بمكلف وهم الطيور، فكيف بنا وقد كلفنا بأهلنا وأولادنا، فهل يا ترى نتفقد أهلنا وأولادنا في صلاة الفجر، ونحن مسؤولون عنهم وهم مكلفون؟ سليمان عليه السلام يتفقد الطير، فما بالك بالجن والإنس؟!، وإذا تفقد غير المكلف فمعنى ذلك أن تفقده للمكلف من الثقلين اللذين عنده من باب أولى وأحرى.

نعود إلى خبر سليمان مع الهدد يقول الله محبراً عنه: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ} عجباً طائر صغير، يرى سليمان عليه السلام فقده، لم يغب عنه رغم صغر حجمه، الطيور فيها الكبير والصغير، والهدد طائر صغير. نعم.. {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ} * لَأَعَذَّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ} *

(النمل: 20-21) النبي سليمان كان مجاهداً في سبيل الله، يحشر له من معه؛ ليذهب بهم لنشر الإسلام والتوحيد في الأرض- هذا الإسلام العام الذي هو دين جميع الأنبياء-.

ولذلك فإن الخروج عن طاعة القائد في وقت الحاجة والمسير ووقت الأمر له جزاء **{لَأَعَذَّبْتُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ}**، وهذا النكال لمن يخالف أمر القائد وبعضه، لمن يغيب بغير عذر عما أعد القائد له من أمر الجهاد في سبيل الله، ولكن سليمان عليه السلام لم يكن عجولاً، ولذلك ترك مجالاً وفرصة للعذر، فقال: **{أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ}** يدل على عذره.

{فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ} (النمل: 22)، لم يتغيب ذلك الطائر كثيراً، وإنما جاء بسرعة، **{فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ}** عجباً لهذه المقدمة التي يقولها طائر لسليمان النبي الملك القائد، **{أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ}** وهذا درس عظيم، فقد يخفى على الكبير ما علمه صغير، والله تعالى يُعلم ما يشاء من يشاء، **{وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَّأٍ بَنِيًّا يَقِينٍ}**، إنها مقدمة تنسي الغضب، وتبعث على الدهشة **{أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ}**، وسليمان عليه السلام كان في فلسطين من بلاد الشام، وسبأ من بلاد اليمن، ومع ذلك لم يكن عند سليمان عليه السلام علم بحال سبأ.

ثم بدأ الهدد يقص ما أحاط به وكان محل دهشته عن سبأ وقومها فقال: **{إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ}** (النمل: 23) هكذا يذهب جنود القائد في تفقد الأماكن في الأرض، لأي شيء؟ لدعوة أهلها، لنشر الإسلام فيهم، لمعرفة هل هم مسلمون أم مشركون، فسبر الهدهد حالهم من جهة العقيدة، ومن جهة الحكم فقال: **{إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ}** من الجنود والأموال والحصون والقصور، **{وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ}** وهو سرير الملك الذي تجلس عليه. ما دينهم؟ وهذا هو المهم الآن، بعد توصيف الحال من الحكم والقوة لهؤلاء القوم، وتقديم تقرير يشمل ما عندهم من جهة الحكم والقوة.

يأتي الآن بيان الحال في الدين **{وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ}** (النمل: 24)، فهم عباد كواكب كفره، **{وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ}** وإذا زين الشيطان للعبد عملاً لم ير العبد قبح عمله، فلماذا يغير؟، ولذلك صاحب البدعة أخطر من العاصي ولو كان مرتكباً للكبيرة؛ لأن مرتكب الكبيرة يعلم أنه عاصي، يعلم أنه يرتكب الحرم الكبير والصريح، لكن المبتدع يظن نفسه على هدى وعلى خير وعلى حسنات وعلى أجر، **{زَيْنَ لَهُ سَوْءَ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا}** (فاطر: من الآية 8). وكثيرون في الأرض اليوم زين لهم الشيطان أعمالهم، يظنون أنفسهم مسلمين وهم مشركون، يظنون أنفسهم أهل حق وهم أهل باطل، يظنون أنفسهم على سنة وهم على بدعة، يظنون أنفسهم على علم وهم جهال، **{زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ}**، لماذا يهتدي، ولماذا يغير إذا كان يرى أمره صالحاً وحسناً، ويرى أن ما هو عليه حق؟ وهذه المصيبة المركبة في أهل البدعة، لا يغيرون؛ لأنهم يرون أنفسهم على صواب.

إن عقيدة الهدهد كانت واضحة، ودين الهدهد كان أمراً جلياً في هذه القصة، وقد علق على حال القوم الذين رأهم فقال: **{أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ}** (النمل: 25) ومعنى الخبء: المخفي، **{أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ}** هلاً سجدوا لرب العالمين الذي خلقهم، الذي يخرج الخبوء في السماوات والأرض، **{وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا**

تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ { (النمل: 25- 26).

واعجباً للذين يعلمون طلابهم ممن يتسمون بأهل البحث العلمي ألا يدخلوا بدينهم في الأبحاث، ويقول: افصل بين بحثك ودينك، ولا تكتب في التقرير العلمي أي انطباعات دينية، فإذا كان التقرير اقتصادياً أو سياسياً أو اجتماعياً أو نفسياً، فيقول له: لا تكتب أي شيء يتعلق بالدين في التقرير، قدم بحثك مجرداً عن أي تعليقات تتصل بالدين، والتقارير العلمية التي لا صلة لها بدين الكاتب وعقيدة الكاتب، هكذا يعلمونهم. سبحان الله!!، إذا قدم الإنسان تقريراً وبحثاً أفلا يكون فيه بيان الحق ومنطق الدين؟، ولذلك انظر إلى وجازة ألفاظ الهدهد، وحسن عرضه، وبماذا عقب؟: {أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، لقد عرض الجندي تقريره على قائده {إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} (النمل: 23-24)، وذكر سبب الضلالة، ولماذا هم مستمرين عليها {وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} (النمل: 24-26)، هكذا إذاً يكون العرض والبيان، هكذا يكون التعليق على الخبر، لا بد أن تظهر آثار التوحيد على التقارير وعلى الأبحاث، ويبين الحكم الشرعي في الربا والأمراض، ونحو ذلك من الآفات التي يتم بحثها علمياً.

تعامل سليمان مع رسالة الهدد

سليمان عليه السلام صاحب تحري {قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَاَلْقِهِ إِلَيْهِمْ} (النمل: 27)، وكتب سليمان رسالة في الدعوة إلى الله، وهكذا شأن الأنبياء والعلماء والدعاة يكتبون الرسائل في الدعوة، فالرسائل لها شأن كبير، الرسالة لها وقع عظيم، الرسالة لها تأثير، الرسالة وسيلة عظيمة في الدعوة، {اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَاَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ} (النمل: 28)، فأمره بثلاثة أشياء: أولاً: {اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَاَلْقِهِ إِلَيْهِمْ}.

ثانياً: {ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ}، أعرض وانتظر غير بعيد؛ لترى.

ثالثاً: {مَاذَا يَرْجِعُونَ}، فانظر ردة الفعل، وانظر الجواب، وفعلاً أطاع الهدهد الأمر، فأخذ كتاب سليمان ورسالته الدعوية فألقاها من كوة وطاق على مجلس المرأة الخاص -ملكة القوم-، ففتحت الكتاب، وتعجبت من طريقة وصول الكتاب إليها، إنه لم يصل عن طريق رسول كالعادة، لم يأت سفير به، وإنما جاء طائر فألقاه إليها عبر هذه النافذة، المهم أن طريقة وصول الخطاب عجيبة.

ماذا في الخطاب؟ {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ} (النمل: 30)، وهكذا تبدأ الخطابات، والسنة: من فلان بن فلان إلى فلان بن فلان السلام عليك ورحمة الله وكذا وكذا، يعني البدء بالبسملة، ثم اسم الكاتب مرسل الرسالة في الأول، ثم المرسل إليه، ثم السلام إذا كان مؤمناً، وإذا كان غير مؤمن السلام على من اتبع الهدى. ماذا في الخطاب؟ {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} مضمون الخطاب، جملة الخطاب، محتوى الخطاب، المقصود منه في عبارة قصيرة موجزة -والعبارات الموجزة فيها تأثير كبير في النفوس- {أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ}

(النمل:31) كلمتان في الأولى فهام عن الكبر {أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ}، والثانية أمرهم بالإسلام {وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ}، وسليمان كان أمره منتشرأ، وشأنه بين الناس وأهل الأرض معروف.

لا حجة لجواز تولى المرأة الولايات العامة بقصة ملكة سبأ

فلما بلغها الخطاب وقرأته {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي} (النمل:32) فرجعت إلى العقلاء والكبراء والملا من قومها ومجلس الشورى، {يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ}، وهذا يدل على كمال عقلها، ولكن وجود نواذر من النساء في عالم القيادة لا يدل بأي حال من الأحوال على جواز أن تتولى الإمارة العامة، والقضاء، وإمارة الجيش، والقيادة، والخلافة، والإمامة امرأة أبداً، فإن الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء، وليس النساء قوامات على الرجال، ولذلك لا يجوز في الشريعة أن تتولى المرأة الإمارة العامة والوظائف العامة كالوزارة والقضاء وقيادة الجيش، فإن هذه الولايات العامة تقتصر على الرجال في هذه الشريعة، ومع هذا فلو فرضاً وجد من النساء من عندها عقل راجح تستطيع أن تسييس الأمور فإنها وبلا شك تحتاج مع راجحة عقلها إلى خبرة الرجال ورائها، ولذلك كان من راجحة عقل هذه المرأة أنها رجعت إلى الرجال، وقالت للملا الرجال من حولها: {يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي} فالمرجع إلى عقل الرجال في النهاية. والمحتجون بنجاح بعض النساء في قيادة بعض البلدان، يعلمون أن هنالك جيشاً من المستشارين من الرجال حول تلك المرأة، ولا يمكن أن تتفرد امرأة بولاية عامة كالإمارة فتنجح في ذلك. {أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ} * {قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ} (النمل:32-33) وعندنا العدد والعدد، {وَأَوْلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ} وشجاعة ودرية وخبرة وثبات في القتال، {وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ} ولا يمكن أن يحتج أيها الأخوة بفعل قوم كفار على جواز تولية المرأة الإمارة العظمى، ولا يجوز أن يقال: هؤلاء قوم سبأ ولوا امرأة فنجحت في سياستهم..؛ لأنه لا حجة بفعل قوم كفرة، ومعلوم من قواعد الدين: "أن النادر لا حكم له"، ولا يمكن الاحتجاج بنادر على جواز تولى المرأة الولاية العامة، كلا، فالنادر لا حكم له.

{فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ} * {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ} (النمل:33-34) أي بطبعهم، {إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذِلَّةً}، هكذا رأت في عقلها، وهذا المعلوم في تاريخها ومن حولها، ترى أن هؤلاء يغيرون ويفسدون ويحتلون ويظلمون ويبيغون، وكل منهم يطلب الظهور على من بجواره من البلدان، وهكذا يفعلون، ولذلك فإنها احتجت بما هو معروف في واقعها واستدلت به، وقد جعل الله عز وجل الإمام العادل تحت ظل عرشه لماذا؟ لأنه بالرغم من سلطانه لا يبغي ولا يظلم؛ بل يعدل ويتق الله في الرعية، فهو في ظل العرش يوم القيامة، {وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} في عادتكم. فما هو الحل؟ {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ} (النمل:35). ما هي الطريقة في المواجهة، وبماذا أجاب سليمان عليه السلام؟.

عباد الله: إن في القرآن لعبراً، وإن في هذا الكتاب ذخراً، وإن فيه العجب العجيب من الفوائد العظيمة، نسأل الله تعالى أن يفقهنا في دينه، وأن يعلمنا كتابه، وأن يفهمنا أحكام دينه وشرعه، إنه سميع مجيب. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، أشهد ألا إله إلا الله، سبحانه الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه، وأمينه على وحيه. بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، فصلى الله وسلم عليه، وبارك على آله وذريته وأزواجه وخلفائه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله

هدية ملكة سبأ ورد سليمان

إن الهدية تزيل وحر الصدر، إن الهدية تزيل الوحشة، إن الهدية طريق لكسب المحبة، وهي من الدفع بالتي هي أحسن {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} (فصلت:34)، ولذلك أرسلت ملكة سبأ هديتها إلى سليمان {وَأِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ} (النمل:35-36) أي: رسول الملكة بالهدية، جاء سليمان في قصره ومكان ملكه؛ ليقدم له الهدية، ماذا تعني الهدية عند سليمان عليه السلام؟ أن يكف عن المطالبة بما أرسل به إليهم {أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ} (النمل:31)، الهدية معناها هنا رشوة، الهدية معناها هنا أن يكف ويمتنع عن جهاد القوم إذا لم يأتوه مسلمين، فالهدية هنا منهم مصانعة، ولكن إذا قبلها هو فإن هذا منكر عظيم، ولا يمكن لسليمان عليه السلام أن يقبل بهذه الهدية، مقابل أن يكف عن القوم؛ لأن الله أمره أن يجاهد في سبيله، وأن ينشر التوحيد في الأرض، وهؤلاء القوم مشركون ولا بد من دعوتهم وجهادهم إذا لم يستجيبوا، ولذلك ما قبل سليمان الهدية.

وهنا مسألة فقهية لا بأس من التطرق إليها وهي: هل يجوز قبول هدية المشرك؟ الجواب: نعم، إذا لم يكن فيها مهانة لأهل الإسلام، ولم تكن الهدية في ذاتها محرمة كحمر وخنزير، ولم يترتب على ذلك ذل المسلم المهدي إليه، ولم تكن رشوة، فإذا خلت من المحظورات جاز قبولها.

{فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ}، أنتم تريدون إغرائي بالهدية وإسكاتي بالهدية، وأن أغمض عنكم لأجل الهدية، يريد أن يقول لهم: أنتم أهل دنيا وأهل مال، وهذا المال له شأن عظيم عندكم، وهذا ما جعلكم {بِهَدْيَيْتِكُمْ تَفْرَحُونَ} (النمل:36) ولذلك كان الرد منه {ارْجِعْ إِلَيْهِمْ} ارجع بالهدية، لا حاجة لنا بالهدية، وما داموا لم يقبلوا بما جاء في الرسالة، ولم يدعنا لما أمرتهم به من دين الله وطاعته، فلينتظروا إذا الغزو {فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ}، لا حيدة عن المقصود الأصلي، لا نسيان للمطلب الأساسي وهو {أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ} (النمل:31).

وهذا ما ينبغي للداعية أن يعيشه: أن لا ينشغل عن مقصده بهدايا وأشياء وأعطيات ونحو ذلك، ولا يرضخ ولا يكون من عبيد الدنيا الذين يجرون وراء هذه الأعطيات والأموال والهدايا، وإنما له قصد ورسالة بإحقاق الحق وإنكار المنكر وإبطال الباطل، وبيان الصواب الذي دل عليه السنة والكتاب.

وهنا التفت سليمان بجنوده {قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} (النمل:38)، وكان الله قد أوحى إليه أنهم سيدعونون ويخافون ويرضخون بعد أن أعاد رسولهم بالهدية، {قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنَّ أَنَا

آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ} (النمل:39)، هذا العفريت الذي هو في الأصل صاحب شر، ومتوسع فيه، سخره الله لخدمة سليمان عليه السلام، بل جعل الله له السلطان على الجن يلتزمون أمره، فلم يكونوا يخالفوه حتى الشياطين منهم، فقد كانوا {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ} (سبأ: من الآية13)، {وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ* وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ} (ص:37-38).

سلط الله سليمان عليهم، والله تعالى يسلط من يشاء على الجن، وليس دائماً الجن مسلطون على الإنس،.. كلا، وربما كان الإنسي ذاكرةً لله، متحصناً بالأذكار، فإذا أراد الشيطان أن يؤذيه، واقترب منه؛ ليمسه بسوء صرع الجنى، فألقي مدحوراً مغلوباً مصعوقاً، فتجتمع الشياطين عنده يقولون: مال صاحبنا؟ فيقول بعضهم لبعض: صرعه الإنسي، وهكذا الذاكرون الله كثيراً والذاكرات يحميهم ربهم ويقيهم شر الشياطين بذكره، ويسلطهم على من يشاء من خلقه.

{قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ} (النمل:40) الذي له معرفة باسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أجاب: {أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ}، وفعلاً جاء به كما وعد، {فَلَمَّا رَأَهُ} أي سليمان: العرش {مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ} وتحقق المطلوب {قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} لم تصل البشرية في قمة تقدمها المادي في هذا الزمان إلى درجة إخراج عرش عظيم من قصر عبر الأبواب والجدران، وتمير ذلك، وقطع ألفي كيلو متر من اليمن إلى فلسطين في لمح البصر، لم يحصل، فلماذا يغترون؟ لماذا يغترون بما عندهم؟.

يا سبحان الله قبل آلاف السنين، وتوجد هذه الإمكانيات التي لم توجد الآن، ولن توجد، تنقل المادة عبر الجدران بكمية ضخمة، ويتم نقلها إلى حيث يراد لها أن تكون في لمح البصر.

إن كرامات أولياء الله معلومة، والذي عنده علم من الكتاب دل علمه على فضله، ولقد كانت معرفته بأسماء الله سبباً في كرامته، وهكذا كان لتأثير العلم ما كان، {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ} علم عبادة وولاية، والولاية هذه فيها كرامة مبهرة، {فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي} لم يغتر، {أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}.

أحداث قدوم ملكة سبأ وإعلانها الإسلام

وقال عليه السلام سليمان لمن عنده: {قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ} (النمل:41)، ويختبر عقلها، ويأتيها بما يبهرها، {فَلَمَّا جَاءَتْ} (النمل:42) طائفة مدعنة لسليمان ومن معها {قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ}، فهي من كمال عقلها ما قالت: هو، ولم تقل: ليس هو، إنما قالت: {كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ}.

فما الذي صدها في البداية، ومن الذي كان سبباً وعائقاً في طريق الهداية؟، {وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ} (النمل:43)، هذا الذي صدها في الأول {إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ}، واجتماع أهل المعصية على بعضهم البعض يولد مناعة ضد الحق، {وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ} في جملتهم تزدوا ومردوا على الكفر.

{قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ} (النمل:44) أي: القصر الذي بلاطه من زجاج نقي صاف شفاف ينفذ إلى ما وراءه النظر، {فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً} من الماء، {وَكَشَفَتُ عَنْ سَاقِيهَا}؛ لئلا تبتل ثيابها، {قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ}، وهذا لا تطيقه ولم تعرفه لا هي ولا من معها ولا خبراءؤها ولا علماءؤها من أهل الدنيا، فاستسلمت وعرفت بأن هذا الملك نبي مرسل من عند الله، ولا يمكن أن تكون كل هذه الإمكانيات -من الطير والجن والصرح الممرد من قوارير، وهذه الأبهة التي رآته فيها، وهؤلاء المحشورين عنده-، أن يكون هذا من فعل بشر وحده دون قدرة إلهية ورائه!!، من الذي آتاه هذه الإمكانيات؟ إنه الله عز وجل.

ولذلك {قَالَتْ رَبِّ إِنَّي ظَلَمْتُ نَفْسِي} بالشرك، والشرك ظلم عظيم {وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، وهذا هو المطلوب أن يدعن الكافر للحق، ويقبل الانقياد للإسلام. إنها دعوة ناجحة، ومثال عظيم لمن يستعمل ما آتاه الله من الإمكانيات في خدمة الدعوة، ونشر الدعوة، وإقناع المدعويين؛ ليأتوا مدعنين.

نسأل الله تعالى أن ينصر بنا دينه، وأن يعلي بنا كلمته، وأن يجعلنا من جنود هذا الدين، والدعاة إلى سبيل رب العالمين، اللهم إنا نسألك أن تحيينا مسلمين، وأن تتوفانا مؤمنين، وأن تلحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين. آمن روعاتنا، واستر عوراتنا، واقض ديوننا. اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين. اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، وانصر المجاهدين في سبيلك يا رب العالمين، واقمع أهل الشرك والكفر والبدعة إنك على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.